

شرح كتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا 7

عادل بن حزمان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على اشرف المرسلين محمد بن عبدالله وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. اما بعد فلا زلنا في برسالة في الطريق الى ثقافتنا وقد قدمنا في الدروس الماضية ما يتعلق الصراع بين اوربوا الشمالية آآ الاسلام اذا محمود شاكر تكلم حسب الدروس الماضية الى الصراع في المرحلة الاولى والمرحلة الثانية والمرحلة الثالثة والان سيتكلم عن المرحلة الرابعة. طبعا فيما نستقبل اذا كان آآ المشاهد لهذه الحلقة يعني يكتشف اننا يعني نتكلم بشكل سريع فاننا قد فصلنا

المباحث الذي سيتكلم عنها الشيخ محمود شاكر فيما تقدم فانما الشيء الجديد سنشرحه اما الشيء القديم على قراءته او استماعه للمحاضرات الماضية. يقول الشيخ ولكن المستشرق وان يكن قد فعل الامرين جميعا خدمة لامته كما مضى ذكر ذلك في ثنايا كلامي فانه قد جاء فدخل مدخلا اخر من غير هذين البابين ودخوله من هذا الباب الثالث هو موضع النساء بيننا وبينه دخل لا مستفيدا ولا مناقشا هذان البابان دخل ليستفيد دخل ليناقد بل دخل باحثا دارسا عليه طيلسان العلم اي رداء المميز لاساتذة الجامعة في ميدان المنهج وما قبل المنهج وهو ميدان له شروط لازمة لا تختل دخل في لغة هو فيها هجين كل الهجنة. الهجين الذي في نسبه عيب قاذح. طبعا هكذا الشيخ ولكن يقصدون من كان عربيا عربي الاب آآ غير عربي الام يسمى هجين اذا كانت امه عربية طبعا يتكلم عن الخيل وابوه غير عربي يسمى مقرف وفي ثقافة هو غريب عنها كل الغرابة ودخوله هذا عمل مستشنع في ذاته. لانه اجترأ على دخول هذا الميدان غير حقه ولا يسمح بمثله في ثقافة امته هو نفسه لانه لا يملك شيئا ذا بال من مسوغاته. اي مسوغات الدخول وهو الباحث التي تكلم عنها الشيخ قبل قليل انه دخل باحثا دارسا

اما اللغة ولا تسمح به طبيعة ما يمكن ان يسمى بحثا او دراسة كما بينت ذلك انفا اما اللغة فغير ممكن ان يكون فيها الا طالبا شاديا يعرفهما معرفة ما لا تسمحوا بدخوله تحت شرطه كما بينت انفا. واما الثقافة فشرطها اشد واقسى آآ فيحول بينه وبين احوال لا يجتازها الا من عرف اللغة معرفة استاذ متمكن ناشئ في هذه الثقافة

وفي لغتها وفوق ذلك كله المستشرق ناشئ في لغة وفي ثقافة اخرى قد رسخت في نفسه وعقله وهي بطبيعتها كما بينت انفا مصبوغة صبغة شديدة في اسف في ثقافة قد رسخت في نفسه وعقله وهي بطبيعتها كما بينت مصبوغة صبغة شديدة في اليهودية والمسيحية وهما ملتان تباينهما ملة الاسلام مباينة تبلغ حد الرفض والمناقضة اذا المستشرق اما ان يكون يهودي واما ان يكون مسيحي. اذا هو له ثقافة خاصة به. لا يمكن ان يكون دارسا للثقافة الاسلامية وثقافته هذه تنازعها حيث ذهب في البحث والدرس فمممكن ان يناقش ثقافة الاسلام. ممكن لانه هذا حقه ولكنه مستحيل كل الاستحالة ان يكون في ثقافتنا نحن باحثا او دارسا يبدي رأيا يستحق النظر والاحترام. في قرآنها وحديثها وتفسيرها وفي تفسير شرائعها

وفي تاريخها وفي ادابها ولغتها وشعرها الى اخر ما ذكرته انفا. مستحيل لانه ممتنع عليهم امتناعا لا يملك الفرار منه هنا ينبغي ان ينتبه الانسان عندما انتقد ثقافة الاخرين فبقواعدي

واضح؟ يعني عندما اقول هذا خطأ فبناء على ماذا؟ على المقدمات التي عندي على القواعد التي عندي على الثقافة التي عندي لكن لا يمكن ان اكون في ثقافتك انت باحثا بمعنى انني اصحح مذهبك

واقيموا الدلائل على صحة مذهبك. هذا هو الذي تكلم عنه محمود شاكر لاني لست من اهلها بيد ان دوافع للمستشرق الى هذا الدخول الجريء المستبشع وركوب هذا المركب الواعر كان ضرورة تحمله على ان يخدم ابناء جلدته

وعشيرته واهل ملته بما اوجبه الصراع المحتدم قرونا بين الاسلام والمسيحية المحصورة في الشمال. اذا المستشرق لماذا فعل ذلك؟ دفاعا عن امته. وهذا حق مشروع نعم. فانبعث يكتب ما يكتب حاملا هموم المسيحية الشمالية في اعماق قلبه

لاسباب فصلتها انفا وليصور الثقافة العربية الاسلامية وحضارة العرب والمسلمين بصورة مقنعة للقارئ الاوروبي المسيحي وباسلوب يدل على ان كاتبها قد خبر ودرس وعرف وبذل كل جهد في الاستقصاء وعلى منهج مألوف لكل مثقف اوروبي. وانه وصل الى هذه

النتيجة التي وضعها بين يديه. بعد خبرة طويلة وعرق وجهه واخلاص حتى لا يشك قارئ منهم في صدق ما يقرؤه. وان هو اللباب المصفى من كل كدر المبرأ من كل زيف وان هو

الحق المبين والصراف المستقيم وفعل المستشرق ذلك لاسباب تستطيع ان تعيد قراءتها فيما سلف وهذا العمل على ما فيه من المعابد وبلا شك ايضا حق خالص للمستشرق لا ينازعه فيه منازع لانه كتبهم لانه كتب ما كتبه للمثقف الاوروبي المسيحي وحده لا غيره. حتى ما كان في ذلك كله سفاهة وبذاءة لا غير كل ذلك حقه وما كان فيه من اثم فحسابه على الله سبحانه لا علينا. وكل ذلك ايضا لا يوجب عندنا ان يوصف عمل المستشرق هذا بانه مبني على

لا خبث الطوية لان خبث الطوي يقتضي ان تكون ان تكون تعرف الحق الابليج مستنيرا ثم تطمسه مريدا لافساد حقي على غيره. المستشرق لما فعل ما فعل القارئ الاوروبي هل فعلها بخبث قوية؟ الجواب لا فعلها لقومه حتى يمنع المثقف الاوروبي من ان يقتنع بالاسلام خبث الطوية لما يكون ما الفه لنا لانه يريد ان يفسد ثقافتنا اذا يقول الشيخ هذا معنى خبث الطوية والمستشرق بعيد كل البعد عن ان يعرف الحق معتما طامسا فكيف يعرفه ابلج مستنيرا. والمستشرق كما علمت لم يعمد الى افساد حق على المثقف الاوروبي المسيحي. بل عمد الى حياطته حتى لا ينهر بدين عدوه المسلم انهارا مجرب معاقبته او جرب عاقبته على مر القرون الطوال

تساقط في الاسلام وفوق ذلك كله. فان هذا المسلك مسلك الغاية تسوغ الوسيلة مسلك مألوف مستحسن محبب الى الحضارة الاوروبية السائرة على هدى كافللي الذي هدهم اليه ونزل عندهم منزلة الدين. وان كان ديننا نحن المسلمين ينكره ويأباه علينا كل الالباء

واذ كانت من حقنا ان نصف المستشرق بخبث الطوية فذلك جائز لنا في عمل اخر من اعماله ربما اشرت اليه فيما بعد اما الامر الثالث وهو امر الاهواء اه محمود شاكر تكلم في الحلقتين او الحلقتين الماضيتين تكلم عن اللغة والثقافة. الان يتكلم عن الاهواء يقول فلن اضيع وقتي ووقتك في الحديث فيه. وان كان شرطا مهما حتما ان يبرأ منه كل من ينزل ميدان المنهج وما قبل المنهج لان بديهية الفطرة في الانسان تقضي بان الاهواء مرفوضة في كل عمل يستحق ان يوصف بانه عمل شريف او عمل وظاهر من كل ما كتبته لك انفا ان الاستشراق من كل من فرعه الى اخص قدميه غارق في الاهواء والثقافة الاوروبية والحضارة الاوروبية تستقبل الاهواء بلا نكير ولا انف. بل هي تسوغ استعمال رذيلة الاهواء في

دنيا وفي الناس بلا حرج. لانها حضارة قائمة على المنفعة والسلب والنهب اذا هي قائمة على منفعة آآ والسلب ونهب الامم واخضاعها بكل وسيلة لسلطانها المتحضر. والدلائل على ذلك لا تخفى على

من ذي عينين تبصران فهي تسوغ ذلك في العلم وفي الثقافة وفي السياسة وفي الدين وفي كل شئ ما دام جانبا للمنفعة او دافعا للمضرة. بل تسوغها ايضا في في الدعوة الغربية العجيبة التي لم يسبق لها امثيل في تاريخ الامم دعوة انها حضارة عالمية وفحواها ان العالم كله ينبغي ان يخضع لسلطانها وسيطرتها ويتقبل برضى غطرستها وفجورها الغني اخاذ الفاتن هل توجد بتعريف محمود شاكر ثقافة عالمية

هي لا توجد ثقافة عالمية لكن هكذا طبيعة الانسان. عندما يكون قويا يفرض افكاره في ثوب من الخداع واخيرا هذا تمام خبر الاستشراق وحقيقة المستشرق الذي انتفض بهوموم المسيحية الشمالية فكتب من الكتب ما كتب لاهل ملته

وخاض في معاني حياة امته الثقافية والسياسية مدافعا شديد الحمية. ومحاميا عن اقوامه ابلغ المحاماة وهو شئ لا يعيننا او كان ينبغي الا يعيننا هو ولا ما كتبه في ثقافتنا قلامه ظفر وهذه حقيقة. يعني عندما

تقرأ للاستشراق هو لو الغيته من حياتك ما ضرك في دينك شيئا. اذا هو لم يسد ثغرة كانت موجودة في ثقافتنا. نعم يقول لما لما عرفت من استحالة قدرته على معرفة العربية الا مثل تحلة

القسم هكذا اه كتبها الشيخ عندي انا مكتوبة تجلت هي تحلت التحلة بمعنى ادنى فعل يفعله الانسان لكي يخرج من قسمه. يسمونها تحلة القسم يصبح حلالا من قسمه. اي قليلا بمقدار ما يكفر المرء قسمه

ولا يبالي. ومن عجزه المطلق عن استبانة وجه الحق في ديننا وثقافتنا لانه مكفوف عنهما بحجاب من ثقافته التي التي نشأ فيها وليدا واستمر حتى شابت قرونه فما باله شغل ناسنا بالحديث عنه؟ اجل كيف كان ذلك؟ ولما كان ما كان مما افضى الى انتدابه الى القاء محاضرة

قاتل في جامعاتنا العربية الاسلامية واعجب من ذلك استلحاقه بهيئات المجامع اللغوية في بلاد عربية اسلامية. يا للعجب! اي ناس نحن يعني وصل الى ان يكون عضوا فعالا في حياتنا

كيف كان ذلك؟ ولما كان ما كان؟ قصة طويلة عريضة ملؤها الغرائب والعجائب. والمضحية والمضحكات والمبكيات والحسرات من مبدأها الى منتهاها ليتني استطيع على المكان. اي الان ان اقصها عليك كاملة بتفاصيلها ولكن

انى يكون لي ذلك انى يكون لي ذلك الان؟ فاقنع منى بالاختصار المفهم والايماء الخاطف واللمحة الدالة ابراء للذمة. ذمتي انا واداء للامانة على على واداء للامانة التي حملتها لاستودعها بين يديك وانت مخير

خطتي لا تالته لهما اما ان تتقصى المكنون الغائب من تفاصيلها المشتت في تاريخك وكتبك بعقل وهمة وجد ويقظة وبصر وادراك.

وبانفة من قبول الذل والعار والمهانة. واما ان تملها فتطرحها عنك

كاهلك قابلا لمزيد من الذل والعار والمهانة. مستحليا. خداع النفس باوهام سولتها لك حياتنا هذه ادبية فاسدة والتي القت بكل فسادها في حياتنا اللغوية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية. بل في صميمها حياتنا الدينية ايضا حتى اوشك حتى اوشك ان يضيع كل شيء كان غير قابل للضياع محمود شاكر تكلم في بداية التمهير انك تحول حتى الروايات العالمية الى لغتك فهي في الحقيقة قاعد تزرع في نفوس الناس معرفة تاريخ الاوروبي بتفاصيله بثقافته بهمومه بعاداته بتقاليد. هذا خطر عظيم. انت بذلك تعبى النشء ثقافة غير ثقافتك فاختر لنفسك منهما ما شئت فان اخترت الخطة الاولى فاصبر على لو اه لوائها يعني مشقتها ومشقتها ولا تجزع وكن رابط الجأش لا تستحوذ عليك المخاوف والرهبنة

ولا تهولنك اسماء الرجال المحدثين الكبار. والتي لها دوي وضخامة. فانما هي طبل فارغ. وزق منفوخ واعلم طبعا هذه ملؤها هواء يعني الشكل الذي يغريك يعني الشيء الذي يغريك حجمه وفي داخله لا يوجد شيء الطبل مهما عظم الطبل فهو داخله نعم يقول آآ واعلم ان الامر جد كله. فان داخله فان داخله الهزل خرجت منه صفر اليدين ولا زخرف الالفاظ الوسيمة المتلألئة مثل قولهم الجديد والقديم والاصالة والمعاصرة والتجديد والتقدم والثقافة العالمية والحضارة العالمية والتخلف والتحضر فانما هي الفاظ لها رنين وفتنة ولكنها مليئة بكل وهم وايهان من وجوه فارغ مميت فاتك. توغل بنا في طريق المهالك وستزل العقل حتى يرتطم في ردة الخباء اي طينته اللزجة. فان استبان لك اول الطريق لكن هبت وترددت فاستمع عندئذ لنصيحة الحسن البصري رضي الله عنه ان من يخوفك حتى تلقى الامن اشفق عليك ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف. كان الله في عوني وعينك وعونك. طبعا آآ هذا مثل والمثل الثاني امر ميكياتك لا امر مضحكاتك واخواننا المصريين اعجوبوا بصيغة ثانية قالوا يا بخت من بكاني بكى علي ولا ضحكني وضحك الناس علي غير ما غير في يوم الثلاثاء عشرين جمادى الاخر سنة سبع وخمسين وثمانمائة في التاسع والعشرين من مايو سنة ثلاث وخمسين واربعمئة والف

سقوط القسطنطينية حصن المسيحية الشمالية الشامخ المنيع. وعلى تدفق كتائب الاسلام في قلب اوربا الغارقة في حمأة قرونها الوسطى غير ما غير على فرحة اذهلت دار الاسلام على عن فجيعتها بسقوط الاندلس كله بعد اربعين سنة في قبضة المسجد تيحية الشمالية يوم سقطت اه غرناطة اخر حصون الاسلام في الاندلس سنة سبع وتسعين وثمانمائة سنة اثنين وتسعين واربع مئة والف وغبر ما غير على جزع المسيحية الشمالية وشعورها بالاخفاق والمذلة بس ملاحظة بسيطة اه لما اه سقطت الدولة الاسلام في مسألة ما يعرف بملوك الطوائف قويت الدولة اه قشتالية وبدأوا يزحفون يزحفون حتى استولوا على الاسلام فما بقيت الا غرناطة وغرناطة في الجهة الشرقية الجنوبية فغرناطة وقفت صامدة لمدة مائة سنة فسقطت في هذا اليوم والا تقريبا ثلاثة ارباع الارض الاندلسية كانت ساقطة قبلها بمئتي سنة. نعم وعلى ما كان من توغل محمد الفاتح في قلب اوربا وتساقط رعايا الرهبان في الاسلام طواعية واختيارا ودخولهم بحماسة ويقين في

جحافل الاسلام الزاحفة. غير ما غير ودخلت دار الاسلام في سنة لذيذة سنة مقدمات النوم نسينا مقدمات النوم ودخلت في سنة لذيذة اورثتها نشوة النصر المؤزر ودخلت اوربا كلها في عزيمة حاسمة لترد ده عن عرضها العار وبلغ السيل الزبي طبعا الزبي حفرة تحفر عشان الاسد اذا سقط لا يخرج فاذا بلغ الماء الزيل السبع اه اذا بلغ السيل الزبي معنائه السيل بلغ

حده في القوة والانتشار فكانت يقظة محسوسة في جانب وغفلة لا تحس في جانب وشال الميزان وانطلقت الاساطيل الاوروبية تطوق دار الاسلام من اطرافها البعيدة فاذا دار الاسلام محصورة في الجنوب. بعد ان كانت حاصرة هي في الشمال وشيئا فشيئا فقدت دار الخلافة في القسطنطينية هيبتها وسيطرتها. وصارت لاوربا هبة مرعوبة ومسيطرة وسيطرة عندئذ او يومئذ كان قد مضى على فتح القسطنطينية قرنان اي مائة عام ويومئذ انس قلب الاسلام ركزا خفيا. الركب الصوت الذي تسمعهم بس لا تعرف فحواه قال اه ركزا خفيا فارهف له سمعه. سمع نقيض اركان دار الخلافة وهي تتقوض. فتوجس توجسا

لشر مستطيل ات لا يدري من اين. فهب من جوف الغفلة الغامرة اشتات من رجال ايقظتهم هدة هذا التقوط. هنا محمود شاكر يريد ان ينبه عن عصر النهضة يريد ان ينبه سنأتي في اخر الصفحة هذه الكلمة كلمة عصر النهضة آآ يقول محمود شاكر هناك حضارة اسلامية قديمة وهناك حضارة اوروبية ناشئة كان بينهم فقط بضع خطوات كان بينهما بضع خطوة خطوة يخطوها الاسلام او خطوة يخطوها الاوروبيين يدخلوا في عصر النهضة ماذا فعل النصارى؟ ليقظتهم والاستشراق الذي عاش حياته كلها في دراسة الاسلام. علم ان وجود هؤلاء الخمس الذي سيذكرهم محمود شاكر هؤلاء بداية نهضة لان هناك انسان اذا قال فكرة خرج

من خلاله الاف مؤلفة مقتنعة بفكرته فيقوم النصر فهم ماذا فعلوا؟ قضاوا على هؤلاء الخمسة قبل ان ينتبه الناس لدورهم نعم اذا قال محمود شاكر فهب من جوف الغفوة الغامرة اشتات من رجال ايقظتهم هدة هذا التقوط فانبعثوا يحاولون ان ايقاظ الجماهير المستغرقة في غفوتها رجال عظام احسوا بالخطر المبهم المحقق بامتهم فهبوا بلا تواطؤ بينهم كانوا رجالا ايقاظا مفرقين في جنبات ارض مترامية الاطراف متباعدة اوطانهم لا يجمعهم الا هذا الذي توجسوه في قرارة انفسهم مبهما من خطر محقق. احسوا الخطر فراموا

واصلاح الخلل الواقع في حياة دار الاسلام. خلا للغة وخلل العقيدة وخلل علوم الدين وخلل علوم الحضارة انات وصبر عملوا والفوا وعلموا تلاميذهم وبهمة وجد ارادوا ان يدخلوا الامة في عصر النهر نهضة دار الاسلام من الوسن والنوم والجهالة والغفلة عن ارث اسلافهم العظام من هؤلاء خمسة من الاعلام اذكركم لك هنا مجرد ذكر باختصار البغدادي عبدالقادر ابن عمر صاحب خزانة الادب في مصر الجبرتي حسن ابن ابراهيم الجبرتي العقيلي في مصر. وسأحدثك عنه بعد قليل. ابن عبد الوهاب محمد ابن عبد الوهاب التميمي نجد في جزيرة العرب المرتضى الزبيدي محمد بن عبدالرزاق الحسيني صاحب تاج العروس في الهند وفي مصر الشوكاني محمد بن علي الخولاني الزيدي في اليمن واذا انعمت النظر في هذه التواريخ واضح؟ كلها متقاربة يعني تأخذ الوفاة. يعني اه بالميلاد حتى يعني تتضح الصورة الف وستمائة وثلاثة وثمانين

الف وسبع مئة اربعة وسبعين الف وسبع مئة اثنين وتسعين الف وسبع مئة وتسعين الف وثمان مئة واربعة وثلاثين واذا انعمت النظر في هذه التواريخ علمت ان عصر النهضة عندنا واقع بين منتصف القرن الحادي عشر الهجري الى منتصف القرن الثاني عشر ويقابله منتصف القرن السابع عشر الميلادي الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي. تذكر هذا ولا تنسه ابدا فهو الذي يكشف لك اللثام عن التفرير الفاضح الذي طفحت به حياتنا الادبية الفاسدة المهلكة. هب البغدادي في منتصف القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي فالف ما الف ليرد على الامة قدرتها على التذوق. تذوق اللغة والشعر والادب وعلوم العربية لان خزانة الادب اعاد للناس ان يرجعوا الى كتب ودواوين الشعر القديم. وهب ابن عبد الوهاب يكافح البدع والعقائد

التي تخالف ما كان عليه سلف الامة من صفاء عقيدة التوحيد. وهي ركن الاسلام الاكبر ولم يقنع بتأليف الكتب بل نزل الى عامة الناس في بلاد جزيرة العرب واحداث رجة هائلة في قلب دار الاسلام. وهب المرتضى الزبيدي. يبعث التراث اللغوي والديني وعلوم العربية وعلوم الاسلام. ويحيي ما كاد يخفى على الناس بمؤلفاته ومجالسه. وهب شوكاني الزيدي الشيعي محييا عقيدة السلف وحرمة التقليد في الدين. وحطم الفرقة والتناذب الذي ادى اليه اختلاف الفرق بالعصبية اما خامسهم وهو الجبرتي الكبير. فكان فقيها حنفيا كبيرا نابها عالما باللغة وعالما بالكلام قدر اماما مفتيا وهو في الرابعة والثلاثين من عمره. ولكنه في سنة اربع واربعين ومئة والف سنة احدى وثلاثين وسبعمائة والف ولى وجهه شطر العلوم التي كانت تراثا مستغرقا مستغلقا على اهل امانة. فجمع كتبها من كل مكان. وحرص على لقاء من يعلم سر الفاظها ورموزها. وقضى في ذلك عشر

سنوات من سنة اربع واربعين ومئة والف الى سنة اربع وخمسين ومئة والف حتى ملك ناصية الرموز كلها في الهندسة والكيمياء والفلك والصناعة الحضارية كلها حتى التجارة والخرائط والحداد والسمكرة والتجليد والنقش والموازين وصار بيته زاخرا بكل اداة في وكل الة وصار اماما عالما ايضا في اكثر الصناعات ولجأ اليه مهارة الصانع في كل صناعة يستفيدون منه علما ومارس كل ذلك بنفسه وعلم وافاد حتى علم خدماه في بيته

فيقول ابنه عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ وحضر انتبهي لهذه الكلمة وحضر اليه طلاب من الافرنج وقرأوا عليه علم الهندسة وذلك في سنة تسع وخمسين واهدوا اليه من صنائعهم والاثام اشياء نفيسة وذهبوا الى بلادهم ونشروا بها العلم من ذلك الوقت واخرجوه من الى الفعل واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الاثقال واستنباط المياه وغير ذلك لاحظت كيف كنا في صراع وسباق لكن هم بذكائهم سبقونا وهؤلاء الافرنج هم المستشرقون كما قصصت عليك من اخبارهم ومن اتصالحهم بالعلم الحي عند علماء دار الاسلام

لحل رموز الكتب العربية. والجبرتي الكبير رحمه الله. كان على خلق اهل الاسلام. فلم يظن على احد من هؤلاء الافرنج بشيء من علمه ولا اساء بهم الظن بل عمل بما ادبه به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ يقول من سئل عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار. ولو علم الجبرتي بخبيثة انفسهم وهم يتملقونه ويتخشعون بين يديه فلا ادري ماذا كان يفعل وهو الفقيه المفتي رحمه الله

هذا طرف لا يجزئ عن هذا طرف لا يجزئ عن النهضة التي كانت في دار الاسلام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري السابع عشر والثامن عشر الميلادي قصصته عليك خطفا لتعرف بعد ذلك ما كان كيف كان دوت اسماء هؤلاء الخمسة في ارجاء دار الاسلام. واشتات غيرهم مؤذنة بيقظة جديدة. واحياء من الامة ولغتها وثقافتها

واستعادة لسيطرة الامة على اسباب حضارتها الزاهرة القديمة واردة لبعثها بعثا جديدا. دون شعور واضح او علم مستبني. بالذي كان يجري في ديار المسيحية الشمالية من
قضة ونهضة وبعث جديد. ونصيحة وتنبية لا تنظر الى الفرق الهائل الكائن اليوم بين الشمال المسيحي والجنوب الاسلامي. فانك ان فعلت ضللت عن الحقيقة. يقول محمود شاكر انتبه لا تنظر الى ما وصلوا اليه وما تخلفنا نحن به. احنا نتكلم عن تلك الحقبة والحقيقة يومئذ ان الفرق بيننا وبينهم كان خطوة واحدة تستدرك بالهمة والصبر والدأب والتصميم لا بل اكبر من ذلك فان اليقظة الأوروبية كان بعد في اول الطريق وتتكئ اتكاء شديدا على ما كان عندنا من العلم المسطور
في كتبنا برموزه التي تحتاج الى استبانة وفهم وعلى العلم الحي الذي كان الذي عند اهل دار الاسلام كما حدثك الجبرتي المؤرخ عن ابيه الفقيه الجليل الجبرتي الكبير وقراءة المستشرقين عليه ليهتدوا به اهتداء ما الى حل هذه الرموز واستبانها وفاهمها. وكل الفرق وكل الفرق
بين اليقظتين يومئذ هو ان يقظتنا كانت هادئة سليمة الطوية منبعثة من داخلها ليس لها هدف والا استعادة شبابها ونظرتها في حدود الاسلام وان كان يومئذ يقظة متباعدة الديار غير متماسكة الاوصال. ولكنها كانت قريبة التواصل وشبكة الالتئام
واما يقظتهم هم فكانت متفجرة بحقد قديم مكظوم شيمته السطو الخفي وشملها مجتمع بالضغينة المتقدمة وهدفها اعادة اعداد العدة لاختراق دار الاسلام بالدهاء والخديعة خداع والمكر كما حدثك انفا فاطلت الحديث اي هما يقظتان
كانتا في زمن واحد احدهما من طبيعتها الرفق المهذب والاخرى من طبيعتها العدوان الفاجر فانظر الان ماذا كان بعد ذلك؟ لامر اراد الله ان يكون. ودع عنك ما تقوله اليوم حياتنا آآ هذه الادبية الفاسدة
فقلت لك انفا كان المستشرقون منذ نأأة الاستشراق والى هذا اليوم يجوبون دار الاسلام من اطرافها الى قلبها يلاقون وخاصة من العلماء ويخالطون عامة المثقفين والدهماء. وفي قلوبهم حمية الحقد المكتم. وفي النفوس العزيمة
المصممة وفي العيون اليقظة وفي العقول التنبه وفي الوجوه البشر والبراءة وفي اللسنة الحلاوة والتملق ولبسوا لجمهرة المسلمين كل زي. وتوغلوا يستخرجون كل مخبوء وكانت بلادهم يومئذ قريبة عهد بعصر النهضة وعصر اليقظة وعصر الاحياء
فهم على اتم معرفة باسرار اليقظة كيف تبدأ والى اين تنتهي؟ فادركوا ادراكا واضحا لا لاجاة فيه ما كان يجري في دار الاسلام منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري الى السابع عشر الميلادي. الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي. انما هي
يقظة حقيقية
ونهضة كاملة واحياء صحيح منبعث كله من ينبوع صاف عتيق طمست معالمه كره والقرون هو جميعه في حوزة دار الاسلام وهم في يقظتهم هذه يومئذ عالة عليه ولا يستاقون الا من تماده بعد جهد جهيد. الثماد حفرة فيها ماء قليل
فوجفت قلوبهم ورجفت من هول ما هم مقبلون عليه. اذ تمت لدار الاسلام اليقظة واستوت وبلغت اشدها. واستقامت على سنن الطريق. وعلى عادة المستشرقين التي حدثك عنها. وهم حملة هموم المسيحية الشمالية
والذادة عنهم وحماتها المستبسلون. هبوا هبة الفرع من هذه اليقظة. فتسارعوا ينقلون كل كل صغيرة وكبيرة مما هو جار تحت اعينهم في دار الاسلام. ووضعوه بينا جليا مشفوعا بمخاوفهم وملاحظاتهم ونصحهم وارشادهم تحت ابصار ملوك المسيحية الشمالية
وامرائها ورؤسائها
وقاداتها وساستها ورهبانها وبصروهم بالعواقب الوخيمة المخوفة من هذه اليقظة الوليدة التي بدأت تنساح في ارجاء دار الاسلام وتناجوا بينهم نجوى طويلة يقلبون النظر في اهدافهم ووسائلهم. وتبينوا الخطر الداهم الذي جاء يهددهم اذا ما
تمت هذه اليقظة واشتد عودها واستقامت خطواتها على الطريق اللاحم. وببديهة العقد. لم يكن للمسيحية الشمالية يومئذ خيار طريق واحد لا غير. هو العمل السريع المحكم واهتبال الغفلة المحيطة بهذه اليقظة الوليدة. كما حدثك
انفا ومعالجتها في مهدها قبل ان يتم تمامها ويستفحل امرها وتصبح قوة قادرة على الصراع والحركة والانتشار. فان تم ذلك فما هو
الا ان تعود الحرب بين الشمال والجنوب جذعة ويوم
لا يضمن احد مغبة الصراع المشتعل بين سلاحين متكافئين. وثقافتين متكاملتين. لا يضمن احد لاي الفئتين تكون الدولة والغلبة والسيادة. ومرة اخرى اقول لك لا تنظر الان الى الفرق الهائل الكائن اليوم بين الشمال المسيحي والجنوب الاسلامي. فانك ان فعلت
ضللت عن الحق
حقيقة والحقيقة يومئذ ان الفرق بيننا وبينهم كان خطوة واحدة تستدرك باليقظة وبالهمة والصبر والدأب والتصميم لا اكثر. الان
محمود شاكر بيتكلم عن نقطة ان وجدت حضارة عند المسلمين طبعا هي الحضارة موجودة لكن بدأت تنهض
فما الذي جعل الاوروبيين يغزون الاسلام طبعا اه الاستشراء قدمنا في الدروس الماضية الاستشراق دوره ان يمهد الطريق للاستعمار والتبشير. في نفس الوقت يحمون القارئ الاوروبي من الخضوع للاسلام. الان جاءت
هذه النهضة ماذا يفعلون هل يتركونها ثم تبدأ يعود الصراع في المرحلة الاولى والثانية والثالثة التي قدمناها هذا الذي كان يريد محمود شاكر ان يبصرك قال آآ ولعلم الاستشراق يومئذ بهذه الحقيقة كان فزعهم الاكبر لا تنسى هذا ابدا وكن على حذر من الضلال

ومن

والتغريب الذي تعج به اليوم حياتنا هذه الاديبة الفاسدة. والسنتها الثرثرة المتشدقة باوهام الاصاله والمعاصره القديم والجديد والثقافه العالميه وبالقضيه الهزليه. قضيه موقفنا من واضح وباله من عبث رزين متعاقل ما علينا. الاستشراق كما رأيت قبل هو عين الاستعمار التي بها يبصر ويحدق. ويده التي بها يحس ويبطش ورجله التي بها يمشي ويتوغل وعقله الذي به يفكر ويستبين. ولولاه لظل في عميائه يتخبط ومن جهل ومن جهل هذا فهو بدائه بدائه العقول ومسلماها اجهل. فلما فزع الاستشراق فزعت معه كل المسيحيه الشماليه ودولها التي كانت اساطيلها تطوق دار الاسلام من اطرافها البعيده وتتوغل بسيطرتها على سواحلها متحسسه الى قلب هذه الدار المتراميه الاطراف بالدهاء وبالمكر وبالخديعه وبالتنمر احيانا حين يتطلب الامر التنمر والترويح كانت دول اوروبا كلها في صراع مستमित فيما بينها على نهش اطراف دار الاسلام واستنزاف ثرواتها وكنوزها وخبراتها بشراهه لا تشيع وكان اكبر الصراع المتوحش على الطرف البعيد في الهند. حيث لا تستطيع طليعه الاسلام في دار الخلافه التركييه ان تصنع لانقاذها شيئا عندها بال. بل هي يومئذ مشغوله ايضا بالحفاظ على وجودها وهيبته لا اكثر. كان اكبر دولتين يومئذ. انجلترا وفرنسا وكان السبق لانجلترا فانشأت ما يسمونه شركه الهند الشرقيه البريطانيه وهو اول جهاز استعماري قوي وذلك في سنة الف وستمائه الف وثمانمائه ثمانيه وخمسين وتبعها فرنسا فانشأت جهازها الاستعماري باسم شركه الهند الشرقيه الفرنسيه سنة اربع وستين وست مئه والف الى سنة تسع وستين وسبعمائه والف ولا يغرك لفظ شركه فانها في الحقيقه جيش غاز مسلح مهمته النهب والسلب وقطع الطريق وتخويف الضعفاء الذين لا يملكون عن انفسهم دفعه. بدأ الصراع بين الشركتين في الهند اي للصيد. صراعا مستحرا مستميتا وظل محتددا حتى قضت البريطانيه على الشركه الفرنسيه قضاء مبرما على يد القائد البريطاني المحنك روبرت كلايبرن كلا تليف في معركة فاصله سنة سبع وخمسين وسبعمائه والف. وطردها من الهند كلها سنة احدى وستين وسبعمائه والف فخرجت هي والاصبهان وغيره من حلبة الصراع في الهند داميه وجوهم اكبادهم. واستأثرت انجلترا وحدها بالصيد الغزير. ففي ذلك الوقت جاءهم النذير. نذير الاستشراق يعني في هذه المعركة المحتم بين فرنسا وانجلترا الان خرجت النهضه فالمستشرقون بعثوا بالرسل الى الملوك ان لا انشغلوا بصراعتكم لكن لا تنسوا الصراع الابدي مثاله لما وقع صراع بين سيدنا علي او قيل بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير. بعض الاغبياء قالوا لملك الروم قالوا بما انهم منشغلون عنا دعنا نحتل بعض بلادهم قال ليس كذلك فجاى بك البين فهدأ يعني جعلهم يختصمان فقط الكلبين بعضهما تقطيع. وبينما هم في شدة الصراع كذف بينهم ثعلب فتركوا الهراش وانطلقوا خلف الثعلب قال هذا حالنا. دعوهم حتى يقتل احدهم الاخر. فهنا الاستشرق قال انتم ايها الفرنسيون وانتم ايها الانجليز لا تنشغلون بالثروات مقابل جهلكم بالقادم وهو العرب فلذلك يقول ففي ذلك الوقت جاءهم النذير جاءهم النذير نذير الاستشراق للمسيحيه الشماليه بالخطر المدلهم الذي تهددهم به يقظة دار الاسلام بقيام محمد ابن عبد الوهاب في جزيرة العرب وظهور الجبرت الكبير في مصر هو والزيدي ومن قبله البغدادي كان نذير الاستشراق مروعا وحاسما. اما انجلترا صاحبه شركه الهند الشرقيه البريطانيه فاسرع مستشرقوها اسرعا حثيثا الى سواحل جزيرة العرب الشرقيه وبالدهاء والمكر والدسائس جاءت في زي الناصر والمعين لتندسس الى يقظة ابن عبد الوهاب يقظة تنقيه الدين مما تراكم عليه من البدع المفسده لعقيدة التوحيد. لتتخذ بذلك عندها يدا وبهذه اليد تسيطر عليها وتحتويها وابتدأت وابتعدت انجلترا الرحلة من ناحية اخرى تطلب عليها من حولها لتطوقها تطويقا يحول بينها وبين الانتشار هذا هو اسلوب البريطانيين حيث حلت من الارض. ماذا فعلوا تغلغوا الى داخل الدعوة وبنفس الوقت قلبوا على الدعوة من خارجها فبذلك دخلت من الداخل ومن الخارج تطويق حتى لا تنتشر ومن الداخل معرفة ما هدف هذه الدعوة. اما طنسا التي عادت من الهند تعلق جراح هزائها. فكان وقع النذير مختلف الاثر مختلف الاسلوب. في قصة طويله من تنبه الاستشراق لما يجري في دار الاسلام فاذا كانت انجلترا قد ظفرت بنصيب الاسد في الهند فان لفرنسا لنصيبا قريبا تعد العدة للظفر به لا يصل بينها وبينه الا بحر ضيق ممكن ان يكون لها عليه السلطان الاعظم. ومن قبل ظلت تدبر الامر زمنا طويلا لتظفر بهذا النصيب في مصر وفي الجزائر. ومعنى ذلك انها عادت مرة اخرى تفكر في اختراق دار الاسلام الامر الذي كان مستعصيا نحو عشرة قرون او اكثر وكان نذير الاستشراق يومئذ يحذر المسيحي الشمالي من هذه اليقظة المخوفة العواق. يقظة اللغه على يد الشيخين الكبيرين بغدادي والزيدي وتلاميذهما ويقظة علوم الحضارة على يد الشيخ الجبرتي الكبير وتلاميذه يقظة في ديار تضم بيتين من بيوت

العلم على ظهر الارض عاش جميعا متواصلين اثني عشر قرنا

موتلا للعلم والعلماء وهم الجامع العتيق الفسطى بالفسطاط جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه والجامع الازهر بالقاهرة وهما اسمان يترددان في ارجاء دار الاسلام من المشرق الى المغرب. ومن الشمال الى الجنوب. فاليقظة التي تأتي من قبله فيما سوف تؤدي الى يقظة دار الاسلام كلها. بما فيها اليقظة المتفجرة المتحركة الجديدة في جزيرة العرب فاذا تم اندماج اليقظتين فلا يعلمه الا الله كيف يكون المصير. لاحظي كيف ربط القضايا كلها

ان هناك حدث جبار يحدث لكن نحن بغفلتنا لم ننتبه له. بينما الاستشراق تنبه له جدا. فلما رآك قد برزت وتعافيت هجم ليقضي عليك وقيض الله لفرنسا قائدا اوروبيا محنكا مظفرا شديد البأس. خواظا لغمرات الموت. درسته

اوروب وفي اوروبا حتى صار اسمه مرعب مثيرا للربح في في القلوب بانه قائد لا يقهر. هو الصليبي ميكافيلي المغامر المفتون الفاجر نابليون الذي ولد تسعة وستين وسبعمئة والف ومات سنة احدى وعشرين وثمانمئة والف

الموافق ثلاثة وثمانين ومئة والف سبعة وثلاثين ومئتين والف فلما فرغ من حروبه في اوروبا منصورا نصرا مؤزرا اصاخ سمعه لنذير الاستشراق ولنصحته وارشاده فقدر ان الحين قدحان ليكون اول قائد اوروبي استطاع بقوته التي لا تقهر ان يخترق قلب دار الاسلام في الشمال

وان يدهم اليقظة التي اרכת من ام الاستشراق وان يببطش بها في عقر دارها بطشة جبار عات لا يبقي على شيء وفوق ذلك كله ان يرد فرنسا ان يرد لفرنسا هيبتها التي

هيبتها التي ضاعت يوم طردتها بريطانيا طردا مخزيا من دار الاسلام في الهند القس القسي البعيدة. وبذلك تتفرد فرنسا وحدها بالمجد السني كله. وتكلمها المسيحية الشمالية عندئذ باكايليل الغار. اذا

الهدف الذي جعل نابليون يترك اوروبا ليغزو ليغزو مصر بحملته المشهورة بالحملة الفرنسية هل هو فقط انقاذا لهؤلاء القوم الضعفاء كما سنذكر بعد قليل. ام كما يقول محمود شاكر اذا حتى نحن

في تاريخنا لم نفهم هدف هؤلاء من غزونا في اول يوليو سنة ثمان وتسعين وسبعمئة والف الموافق سبعة عشر من المحرم سنة ثلاثة عشر ومائتين والف هوى نابليون هوية العقاب على مهد اليقظة في الديار المصرية

هواء على الاسكندرية فجأة بجحافله واساطيره مزودة بكل اداة للحرب جديدة مما تمخض عنه علم اوروبا يومئذ مصطحبا معه عشرات من صغار المستشرقين وكبارهم وطائفة من العلماء في كل علم وفن معهم كل

قريبة مما كشف عنها العلم المستحدث لاحظي انا غازل لماذا اتيت بالمستشرقين لما اذا اتيت بالعلماء الذين معي ما الهدف؟ اذا هو لم يأتي لينقذ هو اراد ان يغير هذه الارض. نعم. فاستباح الاسكندرية ودمر ما دمر ثم طوى الارض طيا

مكتسحا في طريقه شمال مصر حتى دخل القاهرة في العاشر من صفر اذا هو نزل في يوم ماذا؟ سبعة عشر من محرم اذا حتى دخل في سفر بالاول من صفر

او العاشر من صفر هذي عشرون يوما. نعم يقول اربعة وعشرين يوليو سنة ثمان وتسعين وسبعمئة والف. وذعر الخلق. فبدأ يدهن الناس وحاول ان يستميل شايخة في رجال الازهر كي يستجيبوا لمحاله ومخاتلته. فلما رأى امتناعهم على تطاول الايام. عجل

اطلق جنوده الغزاة ليطفئوا ما استقر في قلوبهم من نار الاحقاد المتوارثة على دار الاسلام واترك الجبرتي المؤرخ يصف لك ما حدث في يوم السبت العاشر من جمادى الاولى سنة ثلاثة عشر ومائتين والف. العشرين من اكتوبر سنة ثمان وتسعين وسبعمئة

مئة والف بعدما بعد كم؟ هو دخل في يوليو يوليو يعني شهر سبعة اذا بعد ثلاثة اشهر فقط حاول ان يقنع الناس بهدفه فلما لم يقبله انظر ماذا فعلوا. يقول

اه الجبرتي بلفظه بعد هجعة من الليل دخل الافرنج المدينة كالسيل ومروا في الازقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع كأنهم الشياطين او جند ابليس وهدموا ما وجدوه من المتاريس. ثم دخلوا الى الجامع الازهر وهم راكبون الخيول. وبينهم المشاة كالوعول

وتفوقوا ايقاؤوا بصحنه ومقصورته. وربطوا خيولهم بقلته. وعاثوا بالاروقه والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والوانى والقصاع والوداع والمخبئات بالدوايب والخزانات ودشوت الكتب والمصاحف وعلى الارض طرحوها

ونعالهم داسوها واحدثوا فيها وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا اوانيه والقوا بصحنه ونواحيه وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه اخرجوه وكان ما كان بعد ذلك وقبل ذلك من تهديم القصور والمساجد وتخريب الديار وسرقتها ونهبها بحقد وشراسة

وبالطبع وظاهر جدا ان الحملة الفرنسية بقيادة نابليون ومعها مستشرقوها وعلمائهم. لم يتكبدوا المشقة فما فوقها بقطع البحار والبرار والقفار الا ليخرجوا هذه الامة من الظلمات الى النور اي من عصر الجهالة المظلمة الى عصر العلم المضيء. اي لنبدأ عصر النهضة

الحديثة في بلادنا نحن او كما

يقال هكذا ينبغي ان نقول لابنائنا في المدارس والجامعات الم اقل لك انفا؟ انها قصة مليئة بالمضحكات مبكيات والحسرات واللاهات يعني نابليون هل كان هدفه انقاذنا لكن هكذا تدرس في مصر الى الان

قصة مقحمة وانا اصحح تجارب هذه الرسالة لطبعها. وقفت على فصل مهم جدا كتبه الدكتور زكي نجيب محمود في الاهرام. طبعا زكي نجيب محمود من كبار الفلاسفة في القرن العشرين. وهو صديق لمحمود شاكر يعني قريب جدا منه. وله ردود علي نعم يوم الاثنين في الخامس والعشرين من فبراير سنة خمس وثمانين وتسعمائة والف فرأيت ان اقحمها بين الكلامين لكي تصحح بها الاخطاء التي وقعت انا فيها في سياق الحديث عن الحملة الفرنسية بتسرع وحدة قل الدكتور زكي طبعا. محمود شاكر اه يتهمكم بهذا الكلام يقول جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون. هذا الكلام الان لمن؟ زكي نجيب محمود. يقول جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون ووصلت الى شواطئ الاسكندرية سنة ثمان وتسعين وسبعمائة والف. اي قبيل فاتحة القرن التاسع عشر بسنتين. وكان مع جماعة من العلماء الفرنسيين في تخصصات علمية مختلفة فكان مما صنعه اولئك العلماء ان استدعوا كبار علماء ماء الازهر الشريف جماعة بعد جماعة ليطلعوهم على عجائب العلوم الجديدة. من ذلك مثلا ان يوقفوهم صفا مشتبكي الاصابع الايادي جارا مع جاره. ثم يمسون الواقف بسلك مكهرب فتسري رعدة كهربائي في جميعهم اما هم فيأخذهم العجب واما علماء الفرنسيون فيأخذهم الضحك. ولقد حدث يومئذ ان اغتاز من تلك الالاعيب الصبانية احد الشيوخ فقال لهم ما معناه هل في علمكم الجديد ما يجعل انسانا موجودا هنا موجودا في بلاد الغرب في وقت واحد فاجابوه يقوم انه ليس في علوم ذلك. لانه محال. فرده وقائلا لكن ذلك ممكن في علومنا الروحانية. واني لانظر الى تلك اللحظة التي قال فيها الشيخ ذلك الذي قاله للعلماء الفرنسيين على سبيل التحدي. انظر اليه على لانه لحظة البدء في احد طريقين اتخذناهما من ذلك الحين الى هذه الساعة. التي اكتب فيها هذه الكلمة. فطريق منها الراضون للغرب اي الراضون للعصر وما انتجه من علوم ترتب عليها ما ترتب من حضارة جديدة. وطريقا اخر اختاره من اراد منا الا تقفل امام العصر الجديد ابوابنا ونوافذنا. وكانت نقطة البدء في الطريق الثاني هي رفاة رفاة رفاة الطهطاوي انظر يعني كيف قال محمود آآ زكي نجيب محمود قال كلاما مسح به كل ما تعلمه في الفلسفة وجعل الحملة الفرنسية جاءت لتنقذ الناس وتخرجهم من الجهل انتهى ما كتبه الدكتور زكي وانا لا استطيع ان اعلق عليه الا بالتسليم الخاشع لبراعته في تأريخ الحملة الفرنسية والمشايخ المصرية وعلماء الازهر الشريف. وانما اقحمت لك هنا متبرعا لتستفيد عقلا جديدا لا يملك مثلي ان يفيدك اياه ونعود الى ما كنا فيه. كما قلت قبل قليل هو اراد التهكم. اذا كان زكي محمود وهو من عباقرة فلاسفتنا يقول هذا فاعلم ان بسطاء الناس في حالة اكثر واشد غفلة واستسلاما فاقرأ الان معي تاريخك بعين عربية بصيرة لا تغفل محمود شاكر اطلق على هذه الحقبة تدجين المشايخ اذا هناك دعوة وطنية وهناك تدجين وهناك عين فاحصة اسلامية عربية. محمود شاكر الان سيعيد ترتيب دخول الفرنسيين الى مصر بعين فاحصة. مش غير مستسلمة يقول فاقرأ الان معي تاريخك بعين عربية بصيرة لا تغفل لا بعين اوروبية تخالطها نخوة وطنية كما فعل استاذنا عبدالرحمن غافلي. غفر الله له ذنوبه في كتابه تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر قضى نابليون بحملته الصليبية التي غزت مصر على اكبر قوة مقاتلة في دار الاسلام بعد قوة دار الخلافة. اذا هذا الركن الاول ما هو الركن الاول؟ القضاء على القوة اسلامية قضى على بأس المماليك المصرية وشتتهم ومزقهم كل ممزق. وتتبعهم يذهب القرى في الاقاليم ويبيدوا من اهلها ما يبيد. وبقي جمهور الامة في القاهرة اعزل بلا سلاح يدافع به عن نفسه وبلا حكومة تدير شؤونه واضطرب امر الناس وماج. فانشأ نابليون حكومة جديدة سماها الديوان هذي طبيعة اي دولة عندما تغزو لابد ان اجعل في داخل الدولة نظاما يفرض لي السيطرة التامة وهو مهزلة من المهازل السخيفة. ولكن حياتنا الادبية الفاسدة تعد الديوان نظاما جديدا جاء يصلح فساد نظام المماليك المصرية. تعده كذلك لانها تنظر بعين اوروبية تخالطها وطنية غافلة. وكل ما في الامر ان نابليون وضع هذا النظام الهازل الماكن لانه كان قد قرر في نفسه ان فرنسا ينبغي ان تبقى في مصر الى الابد. ومعنى هذا ان يكون مصر هو مصير الجزاء التي اقتحمها الفرنسيون بعد ذلك سنة ثلاثين وثمانائة والف وفعلا باهلها ما فعلوا ولا اظنك تجهل ما فعلوا بدار الاسلام في الجزائر. بقي هذا القائد المفتون نحو نحو سبعة اشهر في القاهرة يخرب ويفعل الافاعيل. وفي فبراير سنة تسع وتسعين وسبعمائة والف رمضان خرج منها ليدوخ سوريا بقوته التي لا تقهر وظل يقاتل بها نحو ثلاثة اشهر وحاصر عكا. ولكن المقاومة التي لقيها هناك اضطرته الى رفع الحصار عنها ما في ثلاثين مايو اذا دخل هناك في الخامس دخل هناك في رمضان وخرج منها في ذي الحجة اذا قعد ثلاث اشهر رمضان وشوال وذي القعدة. نعم اضطررت الى رفع الحصار عنها في ثلاثين مايو سنة تسع وتسعين وسبعمائة والف ذي الحجة سنة ثلاثة عشر ومائتين والف. بعد ان الاف من جيشه وعشرات من قواده وعلمائه ومستشرقيه. وعلى رأسهم المستشرق الداهية فان

تور

خليله ومستشاره في شؤون دار الاسلام وكانت هزيمته في عكا هزيمة من كفة فآب الى القاهرة وفي قلبه الخوف من العواقب التي تفجأها به دار الاسلام. واستشف ببصيرته وذكائه ان امر الحملة قد انتهى الى غير رجعة واحس بما تغلي به القاهرة غليانا سوف يفضي الى الانفجار فانتهاز فرصة اضطراب الامور في بلاده فرنسا واتخذ الليل جملا وكر راجعا الى فرنسا في الثامن عشر من اغسطس سنة تسع وتسعين وسبعمائة والف وترك الامر كله لخليفته كليبر ليعاني منه ما يعاني وقد كتم عنه هزيمته عن هزيمته على السفر ثم راوغه حتى رحل قبل ان يلقاه نابليون علم ان مصر ستنتفض وان من يبقى سيقتل وما كادت ليبر يستقر على عرش خلافة نابليون اشهرا قلائل حتى افادت القاهرة من ذهولها واستعدت لمقاومة الغزاة وانفجرت الثورة فيها شهرا كاملا. من عشرين مارس الى احدى وعشرين ابريل سنة الف وثمانمئة وارتكب كليبر في سبيل اخمادها افطع ما يرتكبه قاطع طريق مجنون من الفطائع والجرائم وضارب القاهر بمدافعه فخرّب الدور والقصور والمساجد والحمامات والزوايا والقباب والاسوار. حتى بقي ذلك كله خرابا متصلا. كما يقول الجبرتي مما لا تزال اثاره شاهدة باقية الى يوم الناس هذا لمن ينظر بعين عربية لا بعين اوروبية تخالطها وطنية. واخذت الثورة. وظن كليبر ان مصر كلها قد دانت له بالطاعة. ولكنه لم يهنأ بظنه هذا شهرين حتى انقظ عليه عقاب كاسر هو المجاهد الحلبي فعاجله بطعنة خنجر في قلبه فخر وهو يصيح الي ايها الحراث. وخر صريعا لليدين وللغم وذلك في يوم السبت احدى وعشرين من محرم سنة خمسة عشر ومائتين والف. فالرابع عشر من يونية الف وثمانمئة. وما كان اذكي نابليون قد توقع هذا المصير فنجا بجلده هاربا وهو ينشد ما قاله بشار ابن البرد. اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع علي سوادي. ثم خلفت ليبر على عرش نابليون في مصر. مينو القائد الميكافيلي الشقي الكذاب المنافق الارعن في يونيو سنة الف وثمانمئة. كان حاكما لرشيد من قبل طبعا رشيد منطقة في مصر قريية من السويس. كان حاكما لرشيد من قبل نابليون فاصاخ سمعه لسخفاء الاستشراق ومخادعيهم الكبار. فقرروا ان يتقرب الى شعوب دار الاسلام هكذا عادتهم ماذا يفعل؟ يعلن الاسلام ثم يتزوج من نسائه. قال اه ان يتقرب الى شعوب دار الاسلام باعلان اسلامه بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانه احب الاسلام الا ورغب فيهما تاركا لدين النصرانية والاديان الرديئة ثم ظن اكذب الظن انه من اسرة فرنسية عريقة. فهو خليق بان يصابه اسرة من اهل رشيد. شريفة النسب من في النبوة فاجمع امره على محاولة التقدم الى الشيخ الجارم العريق النسب. ان يزوجه احدى ابنتيه. فلم يكذب الخبر ينمي الى الشيخ حتى اسرع مبادرا فزوجهما رجلين من المسلمين قبل ان يتقدما اليه هذا الخبيث العريق الخبائة. ولكن وقع في حبال مينو السيد محمد البواب. احد اعيان رشيد ولا ندري كيف كان ذلك فزوجه ابنته المطلقة زبيدة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاثة عشر ومائتين والف. في الثاني من مارس سنة تسع وتسعين وسبعمائة والف. وطير مينو يومئذ الى نابليون بعد رحيله الى فرنسا. فما انكر ذلك عليه. ولكن انظر يا سيدي الى رجل عربي مسلم في حياتنا هذه به الادبية الفاسدة يكون كل تعليقي بعد ان روى خبر زواج هذا الخبيث بهدوء واناة فقال وكانت حادثة زواج مينو فريدة في بابها. لم يسبقه اليه احد من قواد الجيش الفرنسي. فلا غرب ان كان موضع تهكم زملائه انظر الى كاتب عربي مسلم يقول انا زواج مينو من هذه المرأة كان محل سخرية الناس ولم يفتن ان العملية كانت كلها دهاء وخبث يا سبحان الله! بكل هذه البساطة والسماحة في التعبير يعبر العربي المسلم ويقول تهكم زملائه الم اقل لك انها قصة مليئة بالمضحكات والمبكيات والاهات والحسرات وبقي مينو في اماراته يلاقي الامرين بالناس المصائب والبلايا ويعيش هو بقايا الحملة الفرنسية في الارض فسادا وتخريبا. حتى انتهت جلاء هذه الحملة الجاهلة التي جاء بها الفتى الصليبي المحترق نابليون. ليخترق دار الاسلام في اعظم معقل من معاقلها. حيث الجامع العتيق والازهر الشريف بالقاهرة ليهدم اليقظة التي كانت فيها تدميرا لا يبقى ولا يذر ثم كان الجلاء الاخير من الاسكندرية يوم الاثنين الحادي والعشرون من ربيع الاول سنة ستة عشر ومائتين والف الواحد والثلاثون من اغسطس سنة واحد وثمانمئة والف. وخرجت فرنسا من مصر على عجل ولكن هل يليق بي ان اكف ودعك مصغيا الي تتربق بقية الحكاية رحلت فلول جيش الفتى السفاح المغرور نابليون وجلت عن بلاد واسعة عريضة تركتها بلقعا تصفر فيها الريح وانكشفت وانكشحت عن عاصمة عتيقة تركتها خرابا كان خرابا شاملا وتدميرا لمدينة زاهرة من اجمل مدن العالم يومئذ بعمارتها وفنونها وبركها ومتمنزهاتها. اقدم على تدميرها تدميرا كاملا بربري جاهل مستخف في زي متحضر

ولكن صار هذا التدمير في عين حياتنا الادبية الفاسدة هو رسول الحضارة الذي جاء ليخرجنا من ظلمات الجهل الى عصر النور والتنوير لا ولا تبكي ولكن اطلق اطرافه الخزي والمهانة والعار. وكيف لا تطرق اطرافه الخزي اذا انكشف لك الحجاب عن نية هذا الخبير كان هدف هذا البربري المتحضر ان يخرب عاصمة من اكبر عواصم دار الاسلام واجملها ويتركها تاريخا يروى في وثائق علماء الحملة الفرنسية اي يتركها اثرا بعد عين. حتى اذا تمكن في الارض هو انسوا انشأ على انقاضها البائدة مدينة فرنسية جديدة تعبر تعبيرا فصيحاً عن العبقرية الفرنسية والفن الفرنسي والجمال الفرنسي والرقعة الفرنسية يعمرها يومئذ شعب فرنسي اصيل كريم محتد. يخدمه شعب عربي مستأنس مروض ترويدا حسنا على الف العادات الفرنسية الشريفة والتقاليد الفرنسية النبيلة والفجور الفرنسي الخالد. كما ساحتكم عنه فيما بعد وليس الذي حدث في دار الاسلام في الجزائر عنك ببعيد ولكنهم لم يرحلوا عن القاهرة المخربة وعن الشعب الذي استنزفوا ثرواته بالضرائب والالتاوات مدة ثلاث سنوات

حتى سرق المستشرقون المصاحبون للحملة الفرنسية ومستشرقون اخرون من كل جنس سرقوا كل نفيس من الكتب. وكانت القاهرة يومئذ من اغنى بلاد العالم بالكتب ودليل السرقة قائم بين اعيننا الى هذا اليوم يصيح شاهدا على نفسه بالسطو على ذخائرنا طبعا لما نرجع

فعل مخطوطاتنا واقوالنا سنجدها في فرنسا منتشرة التي يمنون علينا بعد ذلك في حياتنا هذه الادبية الفاسدة انهم حفظوها لنا ونشأوا لنا نفائسها. انظر ناس سرقونا ثم نعودها نمدحهم دليل السرقة قائم في جميع مكتبات اوروبا صغيرها وكبيرها في فرنسا وانجلترا وهولندا وروسيا وغيرها من البلدان وفي الكنائس وفي جميع ارجاء العالم المتحضر. وكان همهم الاكبر يومئذ هو السطو على كتب علوم الحضارة اولا ثم على كتب التاريخ ثم على كتب الادب كلها بلا تمييز ورحم الله الشيخ الجبرتي المؤرخ. فانه ارخ لدمار القاهرة ولكنه التي لم يؤرخ لنا تاريخ هذا السطو على كتب المساجد والمدارس وبيوت العلماء والامراء والممالك المصرية الا في مواضع متفرقة قليلة بلا بيان واضح. وانما هي الحسرة لا غيب من ذلك انه ذكر في مقدمة كتابه بعد ان عدد اسماء كتب التاريخ التي كانت في القاهرة ثم قال قلت وهذه اسماء من غير مسميات

فانا لم نرى من ذلك كله الا بعض اجزاء مدشنة بقيت في بعض خزائن الاوقاف بالمدارس مدشنة الدشت كل اوراق مبعثرة الدشت هو اوراق مبعثرة. بعض اجزاء مدشنة بقيت في بعض خزائن الاوقاف بالمدارس. مما تداولته ايدي الصحافيين وباعها القوامة والمباشرون. ونقلت الى بلاد المغرب والسودان. ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب واخذ الفرنسي ما وجدوه الى بلادهم. انتبه لهذا النص فهو مهم. ثم قال ايضا وهو يذكر قصة شروط الصلح للجلاء عن القاهرة ومن شروط ان الفرنسيين يصطحبون معهم ما يحتاجونه من اوراقهم وكتبهم ولو التي شروها من مصر. هكذا في الشرط والصحيح ولو التي سرقوها من مصر. ورحم الله شيخ الجبرتي ما كان اشد غفلتي عن امور كثيرة لم يذكرها واضحة. بما فيها مكتبة ابيه الجبرتي ماذا فعلوا بها؟ وذلك لانه كان مشغولا عنها بتدبير امر نفسه في معمة هذا التدمير الشامل للقاهرة بيوتها وقصورها ومساجدها وعمائرها. ولعل له عذرا وانت تلومه لم يكن هذا السطو الجائح على كتب دار الاسلام في القاهرة والذي تولى كبراه مستشرقو الحملة الفرنسية واعوانهم من اليهود

ومستشرفي سائر بلاد المسيحية الشمالية. لم يكن هذا سطوا بمجرد رغبة الاستشراق في اداء عمله. من استمداد لثقافة من علم دار الاسلام المسطور في الكتب. ولشدة حاجة يقظتهم ونهضتهم يومئذ الى هذا العلم. لا بل كانت الغاية الاولى المقدمة على كل غاية هي تجريد الاصدار الاسلامي في القاهرة من اسباب اليقظة التي جاءت الحملة الفرنسية لوأدها في مهدها. وللقضاء عليها قبل ان تتفاقم. ووفرة هذه الكتب النفيسة في القاهرة يومئذ هي التي يسرت الطريق الى هذه اليقظة التي حمل عبء البدء بها الجبرتي الكبير وتلامذتي والبغدادي والزبيدي تلامذتهما فكان لابد للاستشراق وقلول الحملة الفرنسية من اتمام ما جاءت الحملة من اجله

فهو الهدف الاكبر وأد اليقظة في عقر دارها. وبلا شك كانت سنوات الحملة الثلاث وما صاب القاهرة فيها من الشنيع وسفح الدماء. وما عم احيائها من الثورات والفتن الكبار والصغار. ثم قمعها بفجور وشراسة وتحظر ايضا كان ذلك كله حدثا متماديا كافيا ادى الى تشتيت شمل تلامذة الجبرت والبغداد والزبيدي. وتفرقهم في ارض وضياعهم في الهرج والمرج. بل انا لا استبعد عن هؤلاء السفاحين العتي. ان يكون دهاة الاستشراق على علم باعيانهم واسمائهم. منذ كان المستشرقون يترددون الى البيت العامر بالصناديقة حارة قرب الجامع الازهر. ليقرأوا على صاحبه الجبرتي الكبير كما حدثت انفا لا استبعد ان يكون وكر الاستشراق. قد اغرى سفهاء السفاحين بتعمد قتل بعضهم غيلة او جهرا. لا استبعد. طبعا هذا كلام

جدا مهم ونراه عيانا يعني عبد الله النفيسي في بعض مقابلاته ذكر ان الموساد اليهودي قتل من المسلمين في علم الفيزيا والكيميا والاقمار الصناعية شيء مهول جدا. يعني كل عالم مسلم

عربي او مسلم غير عربي او من العالم الثالث من يكون ولاؤه لغيره كيف انهم يقتلونه تصفية فهذا امر يقول لا استبعده. والله اعلم اي ذلك كان؟ فكان السبب الاكبر الدافع الى هذا السطو الجائح. هو ان يحولوا بين بقايا البقايا من تلامذته في ائمة اليقظة الثلاثة الكبار. وبين اسباب اليقظة وهي الكتب النفيسة وان يتركوها وان يتركوها في خربت القاهرة حسرة حيارى حيرة الجبرتي الصغير المؤرخ. حين شرع في تأليف تاريخ اذا افتقد كتب التاريخ التي ذهبت بقايا الحروب واخذ الفرنسييس ما وجدوه الى بلادهم او كما قال حسرة قاتلة
حياتنا الادبية او نهضتنا الحديثة كما يسمونها لا تلقى بالا الى حسرة مسكين بائس اسر كالجبرتي الصغير ونقف هنا وصلى الله وسلم على محمد